العناية بأصول الرواية عند العلماء بحاضرة بجاية خلال ق 7هـ/13م: "الإجازة العلمية أنموذجا"

The savants concern on origins of the narrative in Bejaia durring 7H/13BC: "The scientific reward is an exemple"

•**اسم ولقب المؤلف الأول**: برزاق نذير / BERZAG Nadir

الدرجة العلمية والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ / جامعة قسنطينة 2

البريد الإلكتروني: nadir.berzag@univ-constantine2.dz

ملخص:

تمثل الإجازة العلمية إحدى ملامح الحياة الفكرية في جانب أصول الرواية ببجاية، وهذا ما أرّخ له الشيخ أبو العباس أحمد الغبريني في كتابه "عنوان الدراية"، حيث كانت للإجازة أهمية واهتمام بها لدورها في حفظ تداول العلوم والمصنفات بين طلبة العلم.

كلمات مفتاحية: أصول الرواية، الإجازة العلمية، بجاية، عنوان الدراية، الغبريني.

Abstract:

The scientific reward represents one of the features of the intellectual life concerning the origins of the narrative in Bejaia. This is what Cheikh Abu El-Abbas Ahmed El-Ghobrini recorded in his book « *ounwan el-diraya* » ; the reward had importance and concern for its role in saving the alternation in sciences and workbooks between the students.

Keywords: the origins of the narrative, scientific reward, Bejaia, *ounwan el-diraya*, El-Ghobrini

* **نذير برزاق**

1. مقدمة:

تعتبر الإجازة العلمية من أصول الرواية؛ وهي شهادة تأهيلية يتحصل عليها طالب العلم بعد تلقيه فنون العلم وأصنافها عن شيوخ زمانه، وقد حظيت بعناية النخبة في مختلف حواضر المغرب الأوسط، ومن بينها بجاية؛ التي اعتكف على إبراز إشعاعها الحضاري أبي العباس أحمد الغبريني في كتابه: "**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**".

أين حفظ لنا نصوصا من الإجازات في متن تراجم العلماء والفقهاء والصوفية متتبعا وموثقا لأسانيد رواياتهم في مختلف فنون المعرفة وذلك لعلاقتها الوثيقة بالإسناد؛ إذ لا إجازة بدون إسناد حفاظا على أهم خصيصة من خصائص الأمة، ولم يوظفها الغبريني في نص التراجم وحسب بل كذلك في برنامجه الذي ذيّل به كتابه عنوان الدراية، وفيه اعتبر الإجازة شرف للطالب ومنتهى رغبته.

والمنقّب في لجج المصنف، يجد نفسه متسائلا عن مكانة حاضرة بجاية ضمن حواضر العالم الإسلامي؛ وما الإجازة وحفظ الأسانيد إلا لدليل قاطع على مستوى الفكر بها، وكذا كيف أمكن للغبريني أن يحيط بأسانيد العلماء والفقهاء والصوفية والأدباء وهي مسألة توثيقية عسيرة ومُضنِيَة؟

2. مصادر أبي العباس أحمد الغبريني في توثيق الأسانيد ونصوص الإجازة:

أزهى مرحلة ثقافية في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة كانت إبان القرون الهجرية الثلاثة السابع والثامن والتاسع/ 13-15م وهي أرقى المراحل[1]، فالمغرب الأوسط خلال هذه القرون عرف واشتهر بجيل من العلماء ساهموا في دفع الحركة العلمية إلى الأمام وساهموا مساهمة فعالة في إثراء حقل العلوم بالمغرب الأوسط[2].

1- محمد بنعيسى بويوزان: "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين"، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، 2005، ص 233.

2 - محمد بوشقيف: المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، دورية كان التاريخية، ع11، د.م، 2011، ص 61.

فقد استفادت بجاية من علماء ومدرسين جاءوا من مختلف الأصقاع و أضافوا لبنة إلى الصرح الحضاري والرقي الثقافي ببجاية، وساهموا في ازدهار المناهج التعليمية والتربوية بهذه المدينة[1]، و كل هذا لأن بجاية تمثل مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق وكانت تقع في طريقهم و يمرون بها ذهابا و إيابا فيحصل لهم علم كثير بملاقاة الرجال، و من الذين رحلوا إلى المشرق و عادوا عالمين ناصر الدين المشدالي الذي :"رجع إلى المغرب بعلم كثير و تعليم مفيد و نزل ببجاية و اتصل سند التعليم [مع المشرق] في طلبتها "[2]، و غيره ممن ساهم في بوتقة الحضارة الإسلامية من البجائيين، لأن النماذج كثيرة ونيِّرة أمثال: أبو موسى عمران المشدالي وأبو العباس أحمد بن محمد الزواوي ...الخ[3]، فابن خلدون نفسه يشهد لكثير من أساتذته من أبناء بجاية و اعترف بفضلهم لأنهم قد أجازوه كأبي العباس الزواوي[4].

كانت الحياة الثقافية مزدهرة؛ و إن لم تكن على نفس الوتيرة إلا أنها استطاعت بفضل فضلاء العلماء أن تحفظ على سند التعليم واتصاله بالمشرق ثم تفرع بين المغاربة، لذا فهناك شرف عظيم للمغرب الأوسط حتى مع تونس في هذا المكسب في ظل فقدان الأقطار المجاورة لسند التعليم وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خُلوًا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسير عليهم حصول الملكة و الحذق في العلوم، و أما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم...الخ"[5].

وباعتبار أن الإجازة تدل على المستوى العلمي، لذا لم يكن لطالب العلم أن تنتهي مسيرته في طلب العلم؛ بل لا بد عليه ليصبح من العلماء المشهورين أن يسعى للحصول على الإجازات في مختلف

1 – محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية – دراسة في الحياة الإجتماعية والفكرية –، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 30.

2 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص 403.

3 – مولود قاسم نايت بلقاسم: بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العربية، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، كتاب الأصالة، بجاية: 8-16 يوليو 1985، ج30/1.

4 – مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ج31/1.

5 – ابن خلدون: المصدر السابق، ص 403.

العلوم ومن أشهر علماء عصره ورجال زمانه[1]، لهذا وجب عليه التنقل إلى الأماكن الأخرى خارج بلده متحملا عناء السفر والمشقة، فكان علماء المغرب الأوسط يتبادلون الزيارات العلمية بينهم طلبا للعلم ولمزيدٍ من المعرفة رغبة في الحصول على الإجازات[2].

فعلى حد تعبير الباحث أبو القاسم سعد الله فقد كان علماء المغرب الأوسط من طلاب الإجازة في الغالب وليسوا من مانحيها وإن كنا نقر بأنهم قدموا إجازات لطلبتهم واتصل السند عن طريق مغربي أو حتى مغرب أوسطي، ومع ذلك فلو أحصينا عدد العلماء الذين منحوا الإجازات من غير علماء المغرب الأوسط لاندهشنا لكثرتهم[3].

وفي أحد مواضع الترجمات ينقل لنا أبو العباس الغبريني رواية نفهم منها الكثير أثناء ترجمته للشيخ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت 633هـ/1235م) قال: "ومن شعر أبي الخطاب ما وقعت عليه في ورقة بخط بعض المشارقة ونصه: قال الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم البيساني: كتب إليّ الفقيه الحافظ أبو الخطاب عمر ابن دحية، وأجازني الرواية عنه وشافهني بالإجازة[4] قال: [وأورد القصيدة كاملة إضافة إلى أخرى] "، وهنا يمكن لنا أن نستنبط ما يلي:

- "بخط بعض المشارقة": فهذه الوثيقة ومضمونها مكتوبة بخط مشرقي، لذا يا ترى أبالمشرق كتبت النسخة ثم نقلت إلى المغرب؟ أم بالمغرب لكنه من طرف مشرقي كان متواجدا بالمنطقة؟ أم يُحتمل بأنها كتبها مغربي بخط مشرقي؟ وجميع الاحتمالات واردة، أما:

1 – محمد بوشقيف: "تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال ق 8-9هـ/14-15م"، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 80.

2 – مريم هاشمي: "العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال ق 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان، 2011، ص 125.

3 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج2/41. هذه المسألة بحاجة إلى مزيد حفر تاريخي وذلك بتتبع الرحلات والمرويات لمعرفة موقع نخبة المغرب الأوسط بين أقرانهم مشرقا ومغربا.

4 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 272.

"شافهني بالإجازة": فهذا تأكيد قاطع على أنه لم تكن كتابية واكتفى بالمشافهة، لكنه ما السبب: أَلِنقص الأهمية؟ أم ضيق الوقت أم بِعارضٍ يصعب استنباطه من هذا النص، وكذا هذه الإجازة تدخل في سياق أو نطاق: الإجازات الشعرية.

3. أسانيد الرواية والإجازة العلمية في برنامج أبي العباس أحمد الغبريني

لم يكتف الغبريني بذكره أسانيده في التلقي ضمن نص عنوان الدراية وإنما ذيل هذا الكتاب ببرنامج ضمّن فيه أسانيده في علوم الرواية والدراية والإجازات التي تلقّاها عن شيوخه الأفارقة والبجائيين والأندلسيين وهم على نوعين: شيوخ يتصل بهم بواسطة السند وشيوخ تلقى عنهم مباشرة وبون واسطة كما ذكر هو بنفسه في صدر كتابه جاء فيه: " وكان التلقي إما مباشرة أو عن سند ذي اتصال"[1]، وبين في ضمن ذلك طريقته وأسلوبه في التعريف بالشيوخ الذين أخذ عنهم بواسطةٍ والشيوخ الذين تلقى عنهم بمباشرة في قوله: " وكان المباشر تكفي معرفته والمسند عنه لابد أن تعرف صفته"[2]، ومن أسانيده العالية علوم التذكير والحديث والتصوف، فنقتصر ذكر بعض الأسانيد كقرائن منها:

في علم التذكير يتصل سنده بالقاضي أبي علي المسيلي (ت 580هـ/1184م) عن الخطيب أبي عبد الله الكناني عن أبي محمد بن برطلة عن الشيخ أبي عبد الله ابن حمّاد عن القاضي أبي علي المسيلي قراءة عليه وإلقاء إليه"[3]، فسنده مع الشيخين الأولين هما من أهل الأندلس لكنهما استوطنا ببجاية لمدة طويلة، أما الثالث في السلسة فهو من قلعة بني حمّاد، وترجم لهم الغبريني في سياق ترجماته للأعلام وهذا من بين النماذج عن أسانيده والتي ذكرها كلها[4] فاكتفينا بهذا حتى نوضح علماء السلسلة وانتماءاتهم الجغرافية وتحركاتهم العلمية.

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص 19.

2 – المصدر السابق، ص 19.

3 – المصدر السابق، ص 39.

4 – العائد إلى مصنف الغبريني يقف على مختلف العلوم التي تلقاها بأسانيدها، فابتدأها بعلوم الدراية كعلم الفقه والأصلين والعربية والمنطق والتصوف ثم أردفها بعلوم الرواية على نحو: التفسير والحديث، وكانت خطة الغبريني هي ذكر المصنفات التي كانت تتداول في زمانه وطالع عليها بذكر مؤلفيها وسنده إليهم عبر سلاسل متباينة في القرب والبعد إلى صاحب المصنف.

وفي الحديث له سند في رواية البخاري يرويه عن طريق ابن كحيلة (ت 685هـ/1286م) عن أبي الحسن بن أبي نصر[1] عن الشريف أبي محمد بن يونس بن أبي الحسن ابن أبي البركات عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب (ت 553هـ/1158م)[2] عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداودي (ت 467هـ/1074م)[3] عن عبد الله بن أحمد ابن حمويه (ت 381هـ/991م)[4] عن محمد بن يوسف (ت 320هـ/932م) عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري؛ وواصل كلامه موضحا طبيعة هذا السند فقال: "وهذا السند عالٍ وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية لقصور سندهم عن هذا السند"[5]، ويتضح لنا أن السلسلة في روّاتها الأوائل تعود للمشارقة ثم تعود في نهايتها إلى المغاربة، وتبدأ في الانتشار بين طلبة المغرب، وله كذلك سندين في رواية الموطأ للإمام مالك[6].

أما في التصوف فإن الظاهر أن المتصوفة كانوا لا يهتمون بالسند العالي كما يهتم به المحدثون والعلماء وأرباب الرواية، باعتبار أن المتصوفة غايتهم حصول البركة[7]، غير أن لهم عديد الأنواع في طرق أسانيدهم، وسند الغبريني في هذا المضمار يدخل في النوع الرابع المتمثل في لبس الخرقة الصوفية؛ وهو اللباس الذي يُسند من شيخ إلى آخر لأن سندهم فيها يتصل بالإمام علي[8]، وهذا ما قال به الغبريني: " أخذت طريق التصوف عنه [أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي] عن الشيخ أبي محمد بن

1 – ترجمته عند الغبريني برقم 30.

2 – هو الصوفي الزاهد من سجز بإقليم خراسان، متين الديانة، محبا للرواية، توفي ببغداد (ترجم له: الدمشقي: شذرات الذهب، مج6/275).

3 – هو شيخ خراسان في عصره علما وفضلا وسندا (ترجم له: الدمشقي: شذرات الذهب، مج 4/101).

4 – هو محدث ثقة، روى عن الفربري صحيح البخاري (ترجم له: الدمشقي: شذرات الذهب، مج 4/427).

5 – الغبريني: المصدر السابق، ص 139.

6 – المصدر السابق، ص 365، 367.

7 – عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة –منهجيتها. تطورها. قيمتها العلمية–، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (تطوان)، جامعة عبد الملك السعدي، ط1، 1999، ص 74.

8 – الترغي: المرجع السابق، ص 76.

صالح عن الشيخ أبي مدين شعيب عن الشيخ أبي يعزى عن مشايخهم رضي الله عنهم وسند ذلك عندي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[1].

ويُحسن الذكر أن برنامج مشيخة الغبريني ثري من حيث أسانيده ومروياته في المصنفات وفي مختلف العلوم، وَرَدَ ذكرها مفصلة وظهر فيها اهتمامه بمصنفات العلوم النقلية أكثر من غيرها.

4. مظاهر الإجازات العلمية في بجاية

درج العلماء والطلبة في المغرب الأوسط عامة والبجائيين خاصة على طلب الإجازة من شيوخ العلم المشارقة والأندلسيين والأفارقة والمغاربة، وبدورهم قد كانوا يجيزون طلبة وشيوخ هذه الأقطار ما يعني أن الشيخ الواحد كان يجيز ويستجيز، لكن لماذا كان حضور نص الإجازة محتشما في نص عنوان الدراية؛ هل يعود هذا إلى قلة رحلة الغبريني أو إلى عدم حصوله عليها بوصفها مسألة شخصية؟

فهذا الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني (ت 696هـ/1296م):" استجاز وأجاز وروى وأقرأ ... وله رواية متسعة في الحديث وفي غيره، وروايته عالية من جهات كثيرة "[2]؛ أي أنه تلقّى إجازات عديدة ومتنوعة من طرف المشايخ الذين لقيهم، وأنّه بدوره كذلك قدّم إجازات لعدد من طلبته، والملفت للنظر في هذه الترجمة أن الغبريني لم يذكر من أجازه وفيما أجازوه وأين أجازوه وفيما أجاز هو بدوره وهي العناصر المتكاملة في الإجازة وتساهم في استنباط أمور عدة كمكانها وزمانها وطبيعة المستفيدين منها، إلا أنه اكتفى بعبارة لقي مشايخ جملة وعدّ بعضهم، وربما هذا الاقتصار والاختصار من الغبريني يعود إلى أن للكناني برنامج ذكر فيه كل هذا مثلما للغبريني برنامج، فاقتصر على هذه اللمحة الموجزة لكنها دقيقة في معناها وتحمل فوائد جمّة.

ومن العلماء الذين مرّوا على بجاية كذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير بسيدي محي الدين بن عربي (ت 638هـ/1240م)، حيث ذكر الغبريني في سياق التعريف به أنه:" كان

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص 124.

2 – المصدر السابق، ص 79.

يحدّث بالإجازة العامة ... وأجاز لأهل عصره ولمن أحبّ الرواية عنه "[1] kفضلا على إجازة أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي[2].

ناهيك على انتقال أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح (ت 629هـ/1232م) إلى الأندلس وحصوله على إجازة من الشيخ أبي الحسين ابن زرقون الإشبيلي فقد: "أجاز له إجازة خاصة وعامة، خاصة فيما نصّ عليه وعامة فيما لم يعينه... وكتب له بذلك بخط يده في عقب ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة"[3]، وهذا الشكل من الإجازات الموثقة والأصلية تعكس مميزات عديدة منها أنها أصلية بخط صاحبها ومتضمنة لحدود الإجازة خاصة وعامة ومؤشَّرة بتاريخ يعكس زمنها.

ومما يلفت الانتباه في عنوان الدراية أن نصوص الروايات حول الإجازات كانت أكثر من نصوص الإجازات، فقد اكتفى الغبريني بسرد نصين لإجازتين، ولا تفسير لذلك سوى أن الإجازات العلمية كانت وثيقة شخصية عدى التي نشرها صاحبها في برنامج أو فهرسة أو تقييد، ورغم ذلك فإن الأنموذجان اللذان قدمهما الغبريني يكتسيان أهمية على أكثر من صعيد.

فأما الإجازة الأولى فهي عبارة عن نصين: النص الأول في هيئة طلب الإجازة حول برنامج أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني ضَمَّنَ فيه مشيخته وفيه يطلب من الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الخشني أن يجيزه له فكتب إليه بما نصه بعد البسملة والتصلية: يُرغب إلى جلال الشيخ ... بإجازة هذا البرنامج الذي تضمن ذِكر أشياخه ... الخ"، فأجابه بما نصُه: " أجبتك بأحسن تحية ... نعم أجبتك ... إجابة عامة بشروطها ... يرفعه مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها ... قاله

1 – المصدر السابق، ص 158.

2 – المصدر السابق، ص 222. لم نقف على ترجمة لهذا الشيخ حتى ندرك من أي منطقة ينحدر حتّى يتبيّن لنا نوع الإجازة من حيث القطر الجغرافي، وأظن حسب سلسلة النسب في نهايتها الصقلي أنه من صقلية الإسلامية في ذلك الوقت وربما احتمال غير وارد وبعيد.

3 – المصدر السابق، ص 263.

وكتبه سنة ثلاثة وستمائة"[1]، فمن خلال بعض المصطلحات الواردة في رد الإجازة يتضح أن محمد بن عبد الحق التلمساني كان مهتما بشروط الإجازة رغم أنها عامة وأكّد عليها مرتين تعبيرا منه على مدى أهمية شروطها لِمن ينال الإجازة وليس عبثا لمن أرادها.

أما نص الإجازة الثانية فهي للشيخ أبي زكريا يحي بن علي الهمداني يجيز فيها الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني بإجازة ورد نصها:" يُرغب إلى الشيخ ... التلمساني... الهمداني في الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه ... ومسموعاته وإجازاته ومناولاته وتآليفه إجازة عامة مطلقة "[2] فأجاب: " أجزت لكم ... إجازة عامة على شروطها ... إن أنتم أهل لذلك، كتبه سنة خمس عشرة وستمائة "، وهنا كذلك نجده يؤكد ثانية ويُركّز على ضرورة توفر الشروط اللازمة للحصول على الإجازة، فرغم أنها عامة إلا أنه قال: إن أنتم أهل لذلك وهذا شرط أساسي، فمبدأ الثقة هو عمود التواصل بين الشيوخ والطلبة.

5. طرق التقييم ومنح الإجازة عند العلماء ببجاية

تعكس نصوص الإجازات العلمية والروايات التي حفظها لنا أبو العباس أحمد الغبريني حجم التراث الذي دوّنه وحفظه، وهي تعبّر أيضا عن سعة اطلاعه على أخبار العلماء والفقهاء والصوفية والأدباء وما تخلل في أهم مرحلة من مراحل الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، فهل كان التقييم والإجازة تمنح لكل طالب أو يراعى فيها شروط المستجاز؟ ولِمَ تَحَفَّظَ العلماء في منحها للطلبة؟

ذكر لنا أبو العباس الغبريني جانبا مهما في طريقة تعامل و تعاطي الشيوخ مع الطلبة في الإجازات العلمية ومنحها، فمن بين الأمثلة التي ساقها ونقلها لنا: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي (ت 674هـ/1296م)، فبعد تقديمه ترجمة وافية عنه قال بأن هذا الشيخ له مبدأ يتعامل به مع الطلبة المريدين للإجازات، وخصص لنا جانب علم القراءات فذكر قائلا: "و قلّ ما كان يجيز في طريق القراءات، إلا بعد التحصيل الجيد ، لأنه كان مشدِّدا في هذا المعنى، ولم يكن عنده فيه من المسامحة

1 – المصدر السابق، ص 252.

2 – المصدر السابق، ص 254-255.

شيء"[1]، و هذا يدل على مدى أهمية التحقق و التثبت من الطالب الراغب في الإجازة من جانب التحصيل والتمكن ،و لم يكن الأمر هينا لأن هذا يمس عديد الجوانب في علوم الحضارة العربية الإسلامية، وبهذا نلتمس من خلال كلامه الجدِّية في التعامل و هذا حبا منه للطلبة و العلم .

وأورد كذلك لنا الغبريني علَمًا عالما آخر وهو أبو علي عمر بن المحسن الوجهاني الصواف (ت 690هـ/1291م) فقال عنه:"وكان الناس يرغبون في الأخذ عنه فيمتنع من ذلك قصدا للإخلاص والسلامة"[2]،وإن كنا سنطرح السؤال على الشطر الأول من كلامه عن داعي امتناعه؟، إلا أن الشطر الثاني يجيب عن السؤال، فرغم هذا إلا أنني أُبقي على السؤال مطروحا وهو: ما الدافع لهذا القرار؟ خاصة إذا كان له سند في الرواية أَلِظروف خاصة به أم عامة محيطة به وبالأوضاع التي عليها حال الطلبة قرر الامتناع عن الأخذ عنه، لأن العلم للإنسان نعم مفيد لكن تكون الإفادة أكبر وأعم إن علّمت ونشرت علمك بين الطلبة حتى تتداوله الأجيال.

وهناك شيخ آخر ذو قيمة علمية كبيرة في عصره؛ فقد كان أستاذ الأسانيد في وقته: أبو العباس احمد بن محمد بن عبد الله المعافري، فقد كان "لا يتسامح في إجازة بوجه، و لا يمكّن منها إلاّ بعد التحصيل، ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل إلى المرتبة العليا "[3]،وهذا يدل على التحري في تقديمها مع شروطها نظرا لأهميتها، فالأمر مُشرِّفٌ حفاظا على سند سلسلة الأمة والضبط والجدية في تقديمها لأي أحد وفي سائر العلوم، والتشديد في إعطائها ومنحها ربما لتساهل الكثير في تقديمها ممّا أفقدها أهميتها، وربما بدأت بعض الملامح التي لا تُبشِّر بخير في طلبة العلم.

وفي أحد مواضع الكتاب قدّم لنا الغبريني نموذج لطريقة عرض الحديث بالإسناد، وهذا الشيخ الذي تمسك بهذه الطريقة الممنهجة والمنظمة هو: أبو بكر محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الاشبيلي (ت 659هـ/1261م)، فكان هذا الشيخ: "إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله فيبدأ من الصحابي رضي الله عنه؛ فيذكر اسمه ونسبه

1 – المصدر السابق، ص 86.

2 – المصدر السابق، ص 200.

3 – المصدر السابق، ص 316.

وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عُرِفَت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزل يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه فيقول: أما فلان شيخنا فيقول: ويذكر ما ذكر فيمن تقدم، ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا وسمع منه كذا، وبعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث وعربيته، ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي"[1].

فهذا بالنسبة للشيخ التفصيل المفضل لا الممّل رغبة منه في تعليم الطلبة المنهج القويم والسديد والسليم في رواية الحديث النبوي الشريف على أشرف وجه، ومن تعلم وتمكن من هذا يجازى بإجازة لا لُبس فيها.

6. خاتمة:

خلاصة القول إن موضوع الإجازة عند الغبريني يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب، ورغم ذلك فإن الملاحظات الأولية لهذه القراءة لنص عنوان الدراية رَشَحْنا منها النتائج التالية:

- أن الإجازات في أغلبها ظهرت في نوعين خاصة وعامة، وهي متنوعة من حيث الموضوعات (حديث، تصوف، ... إلخ) وفق فنون العلم التي استُجيز فيها المستجاز، وكانت لا تمنح بسهولة من طرف الشيوخ بل إن أغلبهم كان متشددا في منحها نظرا لأهميتها في صيانة دين الأمة من أهواء المبطلين، فضلا على نزوع طلاب الإجازة إلى القراءة على الشيوخ الذين يمتلكون أسانيد عالية في العلوم، وقد حذّر الغبريني في مقدمة كتابه من مسألة التباهي بالأسانيد في قوله:" وإنما ينبغي أن يُعرض في هذا على سبيل المكاثرة وطريق المباهاة والمفاخرة كما قصده بعض من قصرت معرفته"[2]، لذلك نراه يؤكد على صحة الإجازة بالأسانيد.
- لقد كانت الإجازة أحد الشواهد التوثيقية على التبادل العلمي والمثاقفة المعرفية بين العلماء والفقهاء والصوفية في القرن السابع الهجري/13م، وأتقن الغبريني تصويرها مغَلِّبا الأسانيد على الإجازة تأكيدا منه على تشدد علماء بجاية وغيرها حيالها.

1 – المصدر السابق، ص 294.

2 – المصدر السابق، ص 19.

- **سند الغبريني في رواية البخاري[1]**

- أبو العباس الغبريني
- علي بن أبي نصر
- الشريف أبو محمد يونس بن يحي بن أبي الحسن بن أبي البركات
- أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب
- أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد ابن المظفر الداودي
- عبد الله بن أحمد بن حمويه
- محمد بن يوسف
- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

"وهذا السند عال" حسب ما ذكره الغبريني.

- **سند أبو العباس الغبريني في التصوف[2]**

- أبو العباس الغبريني
- أبو عبد الله السجلماسي
- أبو محمد صالح
- أبو مدين شعيب
- أبو يعزى

- وقال الغبريني: "وسند ذلك عندي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

- **سند الغبريني في رواية الموطأ[3]**

- أبو العباس الغبريني
- أبو العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي
- أبو الحسن بن السراج
- أبو عبد الله ابن زرقون (ت 586 ه)
- الخولاني (ت 508ه)

1 – المصدر السابق، ص 67.

2 – المصدر السابق، ص 85.

3 – المصدر السابق، ص 367.

- عثمان بن أحمد
- يحي بن عبيد الله بن يحي
- يحي الليثي (ت 233هـ)
- مالك بن أنس (ت 179هـ).

- **بعض أسانيد أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م).**

7. قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن خلدون، عبد الرحمن، (2008)، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الغبريني، أبو العباس أحمد، (1979)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الدمشقي، شهاب الدين ابن الفلاح أحمد، (1986)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، 10 مج، دار ابن كثير، بيروت.

المراجع:

- الترغي، عبد الله، (1999)، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة – منهجيتها. تطورها. قيمتها العلمية–، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، جامعة تطوان (المغرب).
- سعد الله، أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، 4ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- سيدي موسى، محمد الشريف، (2011)، مدينة بجاية الناصرية –دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية–، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر.

الملتقيات:

- بويوزان، محمد بنعيسى، (2005)، "فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين"، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، السعودية، ص 233 – 310.
- نايت بلقاسم، مولود قاسم، (8-16 يوليو 1985)، "بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العربية"، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، كتاب الأصالة، بجاية، ص 29 – 51.

الأطاريح:

- بوشقيف، محمد، (2011)، "تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال ق 8-9هـ/14-15م"، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان.
- هاشمي، مريم، (2011)، "العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال ق 7-9هـ/13-15م"، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان.

المقالات:

- بوشقيف، محمد، (2011)، المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، دورية كان التاريخية، ع11، ص 58 – 62.